

السيد الواعظ هو كلام خاطئ تماما.

* * *

12 - من هو الأعظم؟

* لا يناسب هذا السؤال الخطير هاتين الشخصيتين البارزتين لأنهما أعظم شخصيات في تاريخ البشر: فأدباع محمد يبلغون 1100 مليون مسلم بعد مرور 1370 سنة بعد الهجرة، بينما يبلغ الذين يؤمنون بالمسيح 1700 مليون بعد 1960 سنة من وفاته. وتأثر أتباعه من مدبة مخلصهم حتى قبلوا لأنفسهم اللقب: "المسيحيون". لا دين آخر ولا حزب، لا فلسفة ولا مذهب جمع عددا أوفر مما جمع هذان الرجلان في مذهبهما. لهذا يقدر التاريخ المسيح ومحمداً القميتين عبر العصور. كان محمد منذراً لشعبه محتملا الاضطهاد والحدق 12 سنة في مكة المكرمة، وتغير بعد الهجرة في سنة 622 م إلى شخصية بارزة ماهرة في السياسة والتشريع والجهاد حتى أصبح أمير المؤمنين وخليفة الله في أرضه للأمة الإسلامية. أما المسيح فلم يقبل السؤال: من هو الأعظم؟ لأنه تواضع جدا وقال إنه لم يأت ليخدم بل ليخدم، كما أعلن أن الذي يريد أن يكون الأول يكون الآخر، ومن يريد أن يتراأس فليكن عبداً للجميع. فكل من يطلب العظمة لم يفهم المسيح وقصده بعد لأنه اعترف بأنه وديع ومتواضع القلب، فالودعاء فقط هم الذين يرثون الأرض- متى 5: 5. وهكذا نقرأ عن المسيح أنه أصبح منزولا ومحتقرا وملعوناً مرفوضاً من أمته ومهاناً حتى رفعوه على خشبة العار بأيدي الأثمة- اشعياء 53: 1-3. فالمسيح أراد وعاش إنكار النفس معنويا وعمليا. قد سمى بطرس مقدام رسله شيطاناً مجرّباً عندما حاول أن يمنعه عن طريق الاحتقار والموت الذيابي عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful
Muslims Holocaust and Genocide Remembrance
Day

Muslims Against Terrorism

<http://www.m-a-t.org>

In order to remember more than 32 million Muslims killed \ displaced during the past 1400 years, Muslims Against Terrorism (MAT) will be holding two memorial ceremonies in Toronto and Calgary.

Major holocausts and genocide of Muslims are as follows.

Crusaders killed more than half million Muslims during and after occupying Jerusalem.

Ganges Khan and his forces killed more than a million Muslims during the occupation of Iraq and neighboring areas. More than a million Muslims were killed \ forced to change religion by Spanish Crusaders in South America.

More than 2 million Muslims were killed \ forced to change religion \ displaced by Spanish and other

European extremists during the rebellion against Ottoman empire.

More than 3 million Muslims were killed by the European colonial powers during and after the occupation of Muslim countries.

More than 8 million Muslims were killed \ displaced by Tsars of Russia.

More than 3 million Muslims were killed \ displaced by communist government of Russia.

More than 1. 5 million Muslims have been killed in China, Cambodia, Vietnam, and other Far East countries since the world war II.

More than half million Muslims have been killed \ displaced in Burma since world war II.

More than half million Muslims have been killed in India and Kashmir since 1947.

More than half million Muslims were killed by Serbs and Croats in Bosnia during early 90s.

More than 100,000 Muslims were killed in Kosovo and Albania during mid 90s.

More than a million Muslims were killed in East

European countries during the communist governments.

More than 5 million Muslims have been killed \ displaced in Palestine since 1948.

More than 6 million Muslims were killed \ displaced by the Russian occupation of Afghanistan.

Thousands of Muslims have been killed by secular \ dictator governments (backed by the West) in Muslim countries since the independence from the colonial powers.

Why 32 million Muslims killed \ displaced during past 1400 hundred years?

يا أيها الواعظ، إذا كنت وقومك تبجلون المسيح فنحن المسلمين نبجله أيضا ونحبه حبًّا جَمًّا وندفع عنه و عن أمه الطاهرة الأذى والعدوان من أية جهة يأتیان، لكننا رغم ذلك لا نُؤَلِّهه ولا نرتفع به فوق النبوة، فما هو فى نهاية المطاف إلا عبد الله ورسوله مثلما محمد عبد الله ورسوله، ومثلما نوح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان واليسع ويونس وزكريا وهود وصالح وشُعَيْب عباد الله ورسوله، عليهم جميعا الصلاة والسلام. كذلك فنحن لا نستطيع قبول كثير مما تقصه الأناجيل عنه وتنسبه إليه مما أشرنا إلى بعضه فيما مضى من فقرات. ولكن ما دمت فتحت موضوع المقارنة بين التبيين الكريمين العظیمين فلا بد أن ندلى بدلونا. وسوف تدور المقارنة على ثلاثة محاور: الأول هو مدى توفير كل من الدينين للتشريعات التى تنظم أمور الحياة.

والثانى هو القيم الحضارية التى يبشر بها كل من الدينين. والثالث هو عنصر الرجال الذين رباهم كل من الرسولين حسبما نقرأ فى كتب قومه.

ونبدأ بالتشريعات، ومعروف أن النصرانية تخلو تماما من أى شىء يتعلق بتنظيم المجتمع أو الدولة: سواء فى مجال السياسة والحكومة، أو الاقتصاد والعمل والإنتاج والصناعات والحرف والبيع والشراء والربا، أو العلاقات التى تربط أفراد الأسر والأقارب والجيران بعضهم ببعض، أو الحروب والمبادئ التى ينبغى الالتزام بها أثناءها. ذلك أن النصرانية ليست سوى طائفة من النصائح الأخلاقية المغرقة فى المثالية الساذجة التى تتأبى على التطبيق مهما كانت رغبة الشخص أو المجتمع فى ذلك لأنها تدابر الفطرة البشرية وتفترض فى الناس أنهم مجموعة من الملائكة الأطهار الأبرار، أو من ألواح الثلج، فهم لا يدسون ولا يغضبون ولا يتألمون ولا يقلقون على شىء ولا يرون له قيمة، ومن ثم لا يثورون ولا يتمردون على أية إهانة أو إذلال. وبطبيعة الحال فإن الناس ليسوا كذلك ولا يمكن أن يكونوا كذلك، ولهذا كان لا بد من تشريعات تنظم أمورهم فى مجالات الحياة المختلفة، وهو ما قام به الإسلام على خير وجه، وراعى فيه إقامة توازن عبقرى بين واقعية القوانين ومناسبتها للطبيعة الإنسانية مع العمل فى ذات الوقت على السمو بتلك الطبيعة إلى أقصى ما يمكنها بلوغه من درجات الرقى والسموق رغم ذلك. وعلى ذلك فمن الظلم وضع الإسلام موضع المقارنة مع النصرانية، إذ لا تستطيع هذه الديانة الأخيرة أن تصمد لحظة من نهار أو ليل لتلك المقارنة إلا على سبيل المكابرة من جانب بعض الناس. وينبغى ألا ننس ما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام من أن مملكته ليست من هذا العالم، وهى كلمة قاطعة الدلالة على أن النصرانية، حتى دون تحريف، لا تصلح للحياة

الدنيا، فكيف تصح مقارنتها بالإسلام، فضلا عن تفضيلها عليه؟ إن هذا كلام لا يدخل العقل! وهنا ننقل إلى المحور الثاني في المقارنة بين محمد والمسيح عليهما جميعا السلام، وهو محور القيم الحضارية.

ومن المعروف أن الحضارة تقوم على عدة أسس هي العقيدة، والأخلاق، والقانون، والعلم، والذوق، والعمل. وليكن آخر شيء هنا، وهو العمل، هو أول ما نتناوله في المقارنة بين الإسلام والنصرانية. وكان المسيح عليه السلام، طبقا لما يقوله كتاب الأنجيل، ينظر إلى العمل على أنه عائق في طريق دعوته، ولهذا كان يأمر كل من يدخل في تلك الدعوة أن يترك وراء ظهره مهنته التي يأكل منها، وكذلك أسرته، ويتبعه: " ¹⁷ مِنْ ذَلِكَ الزَّمانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لِأَنَّه قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». ¹⁸ وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ مَاشِيًا عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ أَخَوَيْنِ: سَمْعَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوَسَ أَخَاهُ يُلْفِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ. ¹⁹ فَقَالَ لَهُمَا: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمْ صَيَّادِي النَّاسِ». ²⁰ فَلَمَّا وَقَفَ تَرَكَ الشَّبَاكَ وَتَبِعَاهُ. ²¹ ثُمَّ اجْتَاَزَ مِنْ هُنَاكَ فَرَأَى أَخَوَيْنِ آخَرَيْنِ: يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ، فِي السَّفِينَةِ مَعَ زَبْدِي أَبِيهِمَا يُصْلِحَانِ شَبَاكَهُمَا، فَدَعَاهُمَا. ²² فَلَمَّا وَقَفَ تَرَكَ السَّفِينَةَ وَأَبَاهُمَا وَتَبِعَاهُ " (متى / 4)، " وَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ جُمُوعًا كَثِيرَةً حَوْلَهُ، أَمَرَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْعَبْرِ. ¹⁹ فَتَقَدَّمَ كَاتِبٌ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَتَبِعُكَ أَيَّمَا تَمَضِي». ²⁰ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». ²¹ وَقَالَ لَهُ آخَرٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَا سَيِّدُ، أَنْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأَدْفِنَ أَبِي». ²² فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اتَّبِعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ» " (متى / 8)، " ⁹ وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجَبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «اتَّبِعْنِي».

فَقَامَ وَتَبِعَهُ " (متى/ 9). وبالمناسبة فهذا النص الصغير يدل دلالة قاطعة على أن كاتب هذا الإنجيل ليس هو متى حوارى عيسى، فهو يتكلم عن متى نفسه بوصفه شخصا آخر، وهذا ظاهر من استعمال ضمير الغائب لا المتكلم "، " ²⁴ حِينِذِ قَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِزْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي " (متى/ 16).

ويتصل بهذا تهويله عليه السلام من شأن المال، مع أن المال في أصله عنصر رئيسي من عناصر الحياة، إذ هو ترجمة الجهد المبذول في العمل والإنتاج أو فيما يحتاج إليه الإنتاج كي يمكن إنجازه. ولا يمكن أن يُدَانَ المال ومالكوه، اللهم إلا إذا كان قد أتى من حرام، أو يُنفَق في حرام، أما إدانته والتنفير منه والدعوة إلى كراهيته كأنه شرٌّ في ذاته كما كان المسيح يفعل طبقا لما يقول مؤلفو الأناجيل فهو ما لا يمكن الموافقة عليه، لأنه يهدم ركنا من أركان الحياة والعمران البشري، وإلا فمن أين يأكل الناس ويشربون ويلبسون ويسكنون إذا أهملوا العمل وما يترتب على العمل من كسب ومال؟ : " ¹⁹ «لَا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَا، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. ²⁰ بَلْ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسِدُ سُّوسٌ وَلَا صَدَا، وَحَيْثُ لَا يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلَا يَسْرِقُونَ، ²¹ لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا. ²² سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نِيرًا، ²³ وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شَرِيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظِلْمًا فَالظَّلَامُ كَمْ يَكُونُ! ²⁴ «لَا يَفْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيُحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ. ²⁵ «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنْ

الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللَّبَاسِ؟²⁶ أَنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبْوَكُمُ السَّمَاءِ يُفَوِّتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟²⁷ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟²⁸ وَلِمَاذَا تَهْتَمُونَ بِاللَّبَاسِ؟ تَأْمَلُوا زَنَايِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لَا تَتَّعِبُ وَلَا تَغْزِلُ.²⁹ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلَا سُدَّيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يُلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا.³⁰ فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيَطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟³¹ فَلَا تَهْتَمُوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟³² فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَّمُ. لِأَنَّ آبَاكُمْ السَّمَاءِ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلُّهَا.³³ لَكِنْ اطْلُبُوا أَوْ لَا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهْ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.³⁴ فَلَا تَهْتَمُوا لِلْغَدِ، لِأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ " (متى/6).

ولقد يبدو أن ما يقوله المسيح هنا يشبه ما قاله الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام عندما أشار إلى أن الله سوف يرزقنا كما يرزق الطير. بيد أن هناك فرقا ضخما وخطيرا بين الكلامين، ألا وهو أن الرسول محمدا قد وضَّح ماذا يقصد بالمقارنة بيننا وبين الطير، وهو ألا نركن إلى الكسل ونهمل العمل، بل علينا أن نطلب الرزق من مظانِّه. وإذا كانت الطير تترك أعشاشها وتطير في فضاء الله الواسع سعيا وراء الحبة والدودة، وحينئذ تحصل على رزقها، فكذلك ينبغي أن نتحرك نحن أيضا ونجتهد ونتعب حتى نحصل على رزقنا، فالرزق لا يأتي دون تعب وعرق وكد وكدح. وهذا معنى ربطه صلى الله عليه وسلم بين الرزق وبين شرط التوكل على الله حقَّ توكله: " لو توكلتم على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خِمْصًا، وتروح بَطَانًا ". وهذا ما لا نجده في حديث السيد المسيح عليه السلام، بل فيه أن الله يرزق الطير دون

مجهود من جانبها، وهذا غير صحيح كما يعرف جميع الناس.

ولنتابع: " ¹⁶ وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمَعْلَمُ الصَّالِحُ، أَيُّ صَدَاحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟» ¹⁷ فَقَالَ لَهُ: «لِمَ إِذَا تَدْعُونِي صَدَاحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَدَاحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». ¹⁸ قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. ¹⁹ أَكْرِمِ آبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبِّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». ²⁰ قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُذْ حَدَّثْتَنِي. فَمَا إِذَا يُعْزِنِي بَعْدُ؟» ²¹ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاهْتَبِ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي». ²² فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. ²³ فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! ²⁴ وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنْ مُرِرَ جَمَلٌ مِنْ نَفْبِ إِبْرَةَ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!». ²⁵ فَلَمَّا سَمِعَ تَلَامِيذُهُ بِهِتًا وَجَدُوا قَائِلِينَ: «إِذَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» ²⁶ فَظَنَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرِ مُسْتَطَاعٍ، وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ. ²⁷ فَأَجَابَ بَطْرُسُ حِينئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَا إِذَا يَكُونُ لَنَا؟» ²⁸ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَدْنَى مِنْ عَلَيَّ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْدِبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْاثْنَيْ عَشَرَ. ²⁹ وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بِيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمَّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِدَّةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. ³⁰ وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوْلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوْلِينَ. « (متى/ 19. ولو قيل إن الغنى إذا كان من حرام أو يدفع إلى حرام أو يشغل صاحبه عن طاعة الله

ويغريه بالإثم فإنه يشكل عندئذ عقبة تمنع صاحبه من دخول ملاكوت السموات، أما التنفير من المال مطلقاً فلا أدري كيف يكون!).

ولذلك كان من ثمرة هذا الموقف المبدئي من السيد المسيح أنه وتلاميذه كانوا يعتمدون في مطعمهم وملبسهم ومركبهم... إلخ على ما يوجد به عليهم الآخرون، أو على ما يقابلهم في طريقهم من حقول أو حظائر يهجمون عليها دون إذن من أصحابها، أو على معجزات السيد المسيح الطعامية. وإن لم تأت المعجزة بالثمرة المطلوبة لعن التينة المسكينة التي لم تستجب له لأن الأوان ليس أوان تين، وليس لها ذنب في ذلك. وليس على تلك الأسس تقوم المجتمعات البشرية، بل على العمل والحِدِّ والإنتاج وامتهان الحرف والصنائع المختلفة، وإلا انقراض المجتمع وضاع: " ⁵هُؤُلَاءِ الْاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. ⁶بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. ⁷وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. ⁸اشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَانِدًا أَخَذْتُمْ، مَجَانِدًا أَعْطُوا. ⁹لَا تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا نَحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ، ¹⁰وَلَا مَرْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلَا ذُوبِينَ وَلَا أَحْذِيَةَ وَلَا عَصًا، لِأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحَقٌّ طَعَامَهُ " (متى / 10)، " في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبب بين الزروع، فجاء تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل وَيَأْكُلُونَ.

²فَالْفَرِيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: «هُؤَذَا تَلَامِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» ³فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ ⁴كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِيمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلَا لِلَّذِينَ مَعَهُ، بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ. ⁵أَوْ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ

في الهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟⁶ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ!⁷ فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ!⁸ فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا» (متى/ 12).

والطريف أن كاتب الإنجيل يعرض المسألة على أنها انتهاك حرمة السبت، وينسى أو يتناسى انتهاك حرمة الحقل في غياب صاحبه والأكل منهُ دون إذن (هـ)،

"¹⁴ فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعًا كَثِيرًا فَتَدَنَّزَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ.¹⁵ وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلَاءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اصْدِرِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقَرْيِ وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَامًا.»¹⁶ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَا حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا.»¹⁷ فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا هَهُنَا إِلَّا خَمْسَةٌ أَرْغِفَةٌ وَسَمَكَتَانِ.»¹⁸ فَقَالَ: «انْتُونِي بِهِمَا إِلَى هَذَا.»¹⁹ فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَبْكِدُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الْأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الْأَرْغِفَةَ لِلتَّلَامِيذِ، وَالتَّلَامِيذُ لِلْجُمُوعِ.²⁰ فَأَكَالَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسْرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فُقَّةً مَمْلُوءَةً.²¹ وَالْأَكْلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آفِ رَجُلٍ، مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ» (متى/ 14)، "³² وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِيَ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْدِرَهُمْ صَائِمِينَ لِيَلَّا يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ»³³ فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ، حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعًا هَذَا عَدْدُهُ؟»³⁴ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ.»³⁵ فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَبْكِدُوا

على الأرض،³⁶ وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَالسَّمَكِ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى

تَلَامِيذُهُ، وَالتَّلَامِيذُ أَعْطُوا الْجَمْعَ. ³⁷ فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَدِبَعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسْرِ سَبْعَةَ سِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ، ³⁸ وَالْأَكْلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ " (متى / 15)، " ¹ وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تَلْمِيذَيْنِ ² قَائِلًا لَهُمَا: «إِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحَلَاهُمَا وَأُتِيَانِي بِهِمَا. ³ وَإِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولَا: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا» " (متى / 21)، " ⁴ وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعٌ، ⁵ فَتَنَظَرَ شَجْرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا فَقَطَّ. فَقَالَ لَهَا: «لَا يَكُنْ مِنْكَ ثَمَرٌ بَعْدَ إِلَيَّ الْآبَدِ!». فَبَيَّسَتِ التِّيْنَةُ فِي الْحَالِ " (متى / 21)، " ⁶ وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيَّنْ تُرِيدُ أَنْ نُعَدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» ⁷ فَقَالَ: «إِذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلَانٍ وَفُلَانًا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَ ذَلِكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلَامِيذِي». ⁸ فَفَعَلَ التَّلَامِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ " (متى / 26).

هذا ما تقوله الأناجيل في موضوع العمل والمال، وهو (كما نرى) لا يصلح للمجتمعات البشرية، فإن المسيح لن يبقى على الأرض طول الحياة حتى يوالى الناس بما يحتاجون، كما أنه لن يظل يصنع معجزات، والدليل على ذلك قصة الحقل وقصة التينة وقصة عيد الفصح، ولن يستفيد من معجزاته إلا من حوله حسبما شاهدنا. ليس هناك إذن سوى سبيل واحد هو العمل والإنتاج والاعتماد على النفس والتعاون وتوزيع الاختصاصات، كل شخص فيما يحسن ويتقن. وهذا ما يقوله الإسلام: لقد تكرر في القرآن الشريف مراتٍ بعد مراتٍ، عقب الإيمان مباشرةً، الأمرُ بالأعمال الصالحات، وهي تشمل كل شيء تحتاجه الحياة الإنسانية كي

تتحرك وتستمر، وأوجب العمل على المسلمين: " وقل: اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ". وفي أحاديث الرسول ما يدل على أنه لا بد من العمل واتخاذ كل إنسان مهنة يزاولها ويعيش منها مُعِينًا إخوانه في المجتمع والإنسانية ومستعينًا بهم، وأن المال خيرٌ ما كان من حلال وما أُنفق في حلال وأُدى فيه حق الله والآخريين، وأن العمل واجب حتى آخر نَفَس في حياة الإنسان، بل حتى آخر لحظة في عمر الدنيا، وأن العبادة لا ينبغي أن تعطل الإنسان عن عمله ولا أن تجور عليه، وربما قُدِّم في بعض الظروف عليها، بل على العابد بعد أن يفرغ من عبادته أن ينطلق سعيًا وراء الرزق ممارسًا مهنته ومؤديًا عمله، وأن المهن كلها محترمة، وأنه لا يكفي أن يؤدي الإنسان العمل، بل لا بد من إتقانه على الوجه المطلوب. باختصار ليس في الدنيا ما يعاب على من يستمتع بطيباتها ما دام يراعى ربه فيها. فالإسلام لا يداير الحياة ولا يتجهم لها، بل يأخذ بيدها ويتعاون معها على خير البشرية. يقول الرسول الكريم: " من بات كالألّ من عمل يده بات مغفورا له "، " ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله. ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غُنَيْمَةٍ له يؤدي حق الله فيها "، " المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير "، " خير الصدقة ما كان عن ظَهْرٍ غَنَى، وابدأ بمن تعول "، " دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته في رغبة، ودينارٌ تصدقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك: أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك "، " نَعَمْ المال الصالح للمرء الصالح "، " من أحيى أرضا ميتة فهي له "، " من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه "، " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل

من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم. لقد كَفَّوْنَا المؤونة وأشركونا في المهنة حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال: لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم".

و"عن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة. فلما كان يوم الفتح جاءه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مرحبا بأخي وشريكي! كان لا يداري ولا يماري! يا سائب، قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تُقْبَلُ منك، وهي اليوم تُقْبَلُ منك. وكان ذا سَدَفٍ وَصِدْلَةٍ"، " ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم. قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا. كنت أُرَاعِيها لأهل مكة بالقراريط"، " الخيل لثلاثة: لرجلٍ أجر، ولرجلٍ ستر، وعلى رجلٍ وزر: فأما الذي له أجر فرجُلٌ رِبَطُها في سبيل الله فأطال لها في مَرَجٍ أو روضة، فما أصابت في طِيلِها ذلك في المَرَجِ والروضة كان له حسنات. ولو أنها قطعت طِيلِها فاستنتت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له. ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له. فهي لذلك الرجل أجر. ورجلٌ رِبَطُها تغذيا وتعففا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجلٌ رِبَطُها فخراً ونِوَاءً، فهي على ذلك وزر"، " على كل مسلم صدقة. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير، أو قال: بالمعروف. قال: فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة"، " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده. وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"، " عن سعد بن أبي وقاص: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من

وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفاتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: بالشرط؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث، والثلث كبير، أو كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عائلة يتكفون الناس"، "أفضل الصدقة ما ترك غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول"، "عن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة. ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً. ثم يتلو: "إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات... إلى قوله: الرحيم". إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصدق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون"، "كان (معاذ بن جبل رضي الله عنه) يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم "البقرة"... فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً فقال: إنه منافق. فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذاً صلى بنا البارحة، فقرأ "البقرة"، فتجوزت، فزعم أنني منافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معاذ، أفأتان أنت؟ (ثلاثاً). اقرأ: "والشمس وضحاها" و "سبح اسم ربك الأعلى" ونحوها.

و "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فصام بعض وأفطر بعض، فتحرّم المفطرون وعملوا، وضَعَفَ الصُّومَ عن بعض العمل. قال: فقال في ذلك: ذهب المفطرون اليوم بالأجر"، "لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيصدق به ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى،

إخراجه، وجعل لها موظفين يقومون على جمعها وتوزيعها. أى أنه أتبع المبدأ بتطبيقه ولم يتركه كلاماً في الهواء. وتمثل النسبة التي يخرجها المسلم القادر من ماله في مجال الصدقات مقداراً معقولاً يكفى للقضاء على الفقر، ولا يسلب الأغنياء كل ثروتهم بل يترك لهم الكثير رغم ذلك. والمقصود بالفقر هنا الفقر الناشئ من عجز صاحبه عن الكسب أو من اختلال الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لا الفقر الناتج عن الكسل والبلادة وقلة الكرامة والطمع فيما فى أيدي الآخرين دون وجه حق. ولأن الزكاة نظام مقنن فى الإسلام فقد استمر حتى عصرنا هذا الذى لم تعد الحكومات الإسلامية فيه تهتم بتطبيقه، إذ لا يزال كثير من المسلمين يخرجون حق المحتاجين فى أموالهم طيبة به نفوسهم راجين قبول الله له وإثابته عليه.

هذا عن العمل، والآن إلى بعض ما جاء به الإسلام عن العلم وفضله ومكانة أهله عند الله: فى القرآن نقرأ مثلاً الآيات المتلثة التالية: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]، {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]، {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١]، {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨]، {تَبِعُونِي يُعْلِمِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأنعام: ١٤٣]، {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لِنَّا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١٤٨]، {وَإِنَّهُ (أى يوسف) لَدُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف: ٦٨]، {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف: ٧٦].

أما الأحاديث المحمدية فيها هى بعض دُررِها: " من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من فى السموات ومن

سهّل الله له طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وعَشِدَّتْهُمْ الرِّحْمَةَ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ "، " إذا اجتهد (المؤمن) فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ".

ومن هذه الجواهر يتبين لنا قيمة العلم ومدى اهتمام الإسلام بل اعتزازه به وحضه عليه وتشجيعه من يسعى لتحصيله. ويكفى أنه هو الشيء الوحيد الذي أمر الله رسوله عليه السلام أن يستزيد منه، وأنه هو الشيء الوحيد أيضا الذي لم يورث الأنبياء شيئا آخر سواه، وأن فضل العالم على سائر الناس، بما فيهم العابد، هو فضلٌ جِدُّ كبير، وأن المجتهد مأجور حتى لو أخطأ، وهو ما لا مثيل له ولا قريب منه في أى مذهب أو فلسفة أو نظام أو دين آخر، بل أقصى ما يطمع فيه المخطئ في هذه الحالة هو أن تخفف عنه العقوبة، أما أن يُعْفَى منها تماما فهذا حلم صعب المنال. لكن أن يُوجَر رِغْمَ خطئه فهذه هي عبقرية دين محمد عليه الصلاة والسلام. وليس في النصرانية واحد على المليون من كل ذلك، والعهد الجديد متاح لمن يريد التحقق من هذا الذي نقول، فليقلّبْه براحته وعلى أقلّ من مهله، وأنا زعيم أنه لن يعثر على شيء من ذلك بتاتا، بل سيخرج بانطباعٍ مؤدّاه أن العلم بالنسبة للنصرانية هو شيء لا وجود له على الإطلاق، وكأذنا حين نتحدث عن العلم فإنما نتحدث عن العذقاء! ترى كيف يمكن أن تقوم حضارة دون علم؟ لكن ينبغي ألا ننسى ما هو منسوب للمسيح عليه السلام من قوله إن مملكته ليست من هذا العالم! وهذا هو محور الاختلاف بين الإسلام والنصرانية: الإسلام هو دين الحضارة والحيوية والتقدم. والنصرانية، على العكس من ذلك، تعطى ظهرها للحياة وترتدى ثياب الرهبان وتستقبل الموت والسكون،

ولا تهش لحركة العقل وتوثّب الحضارة!

أما فى الجانب الخلقى فيردد النصارى أن المسيح عليه السلام قد أتى بشريعة التسامح. يقصدون قوله: " أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم... إلخ "، لكننا سبق أن قلنا وكررنا القول إن هذه المبادئ الخلقية لا تصلح للمجتمعات البشرية، وإلا تحوّل الأمر فيها إلى كارثة إ ترى ماذا يريد المجرمون والظلمة أحسن من ذلك الكلام الذى لن يجنى منه أصحاب الحق والمظلومون سوى الألم والهوان والضياع، مما ينشر الاضطراب فى المجتمع كله ويأخذه إلى الهاوية والانهيار؟ إننا قد نفهم أن يلجأ الإنسان إلى التسامح فى بعض الظروف، وبخاصة إذا كان أقوى ممن أساء إليه أو كان عاجزا عن أخذ حقه أو وجد أن نيّله هذا الحق سوف يؤدي إلى ضرر أفدح من ضرر الصبر والتغاضى، أما أن يتحول التسامح والإغضاء إلى سياسة دائمة فهو البوار والانتحار الاجتماعى والسياسى. لنأخذ مثلا ما فعله الغرب فينا حين جلب اليهود من كل أرجاء المسكونة وأقام لهم برغم أنوفنا نحن العرب دولة على أرض فلسطين وشرد معظم أهل البلاد فى الآفاق وانتهج مع الباقين سياسة التقتيل والترويع والاعتقال وهدم البيوت والحصار وتقييد الحريات والتكيل والتحجير والتشنيع عليهم بأنهم هم المعتدون والإرهابيون، وأن الصهاينة قوم مساكين لا يبيغون أكثر من أن يأخذوا بلاد الفلسطينيين ويقتلوهم ويستعملوا الباقين خدما يلعقون أحذيتهم صباح مساء دون أن يقابل ذلك من جانب اليهود حمد أو شعور بالجميل... إلى آخر ما يعرفه كل أحد عن طريقة التعامل الصهيونى والغربى مع الفلسطينيين المظالم، فبالله عليكم ماذا يريد الصهاينة أفضل من نصح الفلسطينيين بالاسكوت على ما حدث لهم، مع شّفعه بتقديم بناتهم وزوجاتهم وأمهاتهم للمحتلين اليهود ليفسقوا

بهن جريا على سياسة: من صفك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، ومن اغتصبك رداءك فاترك له الإزار أيضا، ومن سخرك ميلا فسخر نفسك له ميلين، وأعطه كل ما معك فوق البيعة واستسمحه أن يخفف عن نفسه الممل بصفك على قفاك ولكمك في وجهك وتحطيم أذفك وأسنانك وركلك في أردافك والبصق في وجهك وإمطارك بالشتائم المعتبرة المنتقاة حتى تُدخِل البهجة على نفسه وتتركه وأنت مطمئن أنه قد استوفى رغبته المريضة في إيدائك واشتفى من الأكال الذي يعذبه والذي لا يهدئه إلا إيذاء الآخرين من العرب والمسلمين؟

وفوق ذلك فإنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد في يوم من الأيام مجتمع بشرى يقوم على التسامح المطلق، وإلا فلنلغ الشرطة والقوانين والمحاكم والحكومات ونعيش كما يعيش الناس في الحدوتة التي كنت أسمعها وأنا طفل صغير والتي تقول إنه كان هناك أيام زمان بلاد لا يتعامل الناس فيها بالفلوس، بل كل من أراد شيئا فما عليه إلا أن يذهب إلى التاجر أو الصانع أو الزارع الذي عنده ذلك الشيء ويقول له: أعطني كذا وكذا مما

عن

"بالصلاة على النبي". فيعطيه ما يريد ويذهب هو بما أخذ دون أن يكلف نفسه بنطق كلمة "شكرا". فهل هذا معقول؟ إننا إنما نعيش في دنيا الواقع والحقائق لا في دنيا الحواديت، فلنأخذ بالنا حتى لا يضحك علينا الناس! ثم إنه إذا كان عيسى عليه السلام قد دعا إلى التسامح على هذا النحو فإنه، كما وضحنا من قبل ونكرره الآن، كان أول من خرج على ذلك الكلام ولم يلتزم به قط، وإلا فمن الذي كان يلعن بنى إسرائيل لا يكف لسانه عنهم أبدا ويصفهم بـ "المرائين" و "قتلة الأنبياء" و "المرسلين" و "أولاد الأفاعي" و "خراف بنى إسرائيل"

الضالة " و " فاعلى الإثم " و " الشعب الصُّلب الرقبة " و " الجيل الشرير " و " لصوص المغارة " ؟ أليس هو عيسى عليه السلام حسبما نقرأ فى الأنجيل فى كل مناسبة وفى كل غير مناسبة حتى إننا لنظن أنه لم يكن يعرف هدوء الأعصاب، ولا لسانه التوقفَ والسكينة، وأن الداعى إلى التسامح شخص آخر غيره، بل شخص يعاديه ويجرى على نقيض سنّته. بل إنه لم يُعَفِّ تلامذته أنفسهم من سوط لسانه، إذ اتهمهم بقلة الإيمان أكثر من مرة، وبالذات بطرس الذى تكرر إفراده له بذلك الاتهام. أما أمه فلا أذكر أنه وجه لها كلمة طيبة قط طوال وجوده على الأرض، بل كان خشنا فظا معها حتى إنه ذات مرة رد على من نبهوه إلى أنها تنتظره هى وإخوته خارج البيت الذى كان فيه، قائلا إن أمه وإخوته الحقيقيين هم من يؤمنون برسالته. فما معنى هذا؟ وهذا كله موجود فى الأنجيل. وحتى لو صدقنا أنه كان يتسامح فعلا كما كان يأمر غيره أن يفعل، فإن مدة التسامح والصبر لم تتجاوز ثلاثة أعوام، ثم ترك الدنيا ومضى إلى ربه.

أما محمد فإنه قد جرى على خطة الصبر والغفران لا أعواما ثلاثة فحسب، بل ثلاثة عشر عاما قبل أن يؤذن له بالقتال بعدما كانت كل فرص الصبر والعفو والتغاضى قد نَفِدَتْ كلها ولم تأت بنتيجة. ولا شك أن لكل شىء فى دنيانا هذه من نهاية! فحبال الصبر لا يمكن أن تمتد إلى الأبد إلا إذا كنا نعيش فى غير دنيا البشر! ثم هاتوا لى إنسانا واحدا أضربه على خده الأيمن فيدير لى خده الأيسر، وألعه فيباركنى حسبما توصى الأنجيل! هذا أمر مستحيل! استحالة طلوع الشمس من مغربها، وتلك الاستحالة أمر طبيعى تماما، فهكذا طُبعَ الناس منذ الأزل حتى الأبد. كما أن الحياة لا تستقيم بالتسامح المطلق الدائم، " ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ

بعضهم ببعضٍ لفسدت الأرض " كما جاء في القرآن المجيد، إذ لا يَفْلُ الحديدَ إلا الحديد! والبشر كلهم يعرفون ذلك أكثر مما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا من المخادعين ليكتمون الحقيقة عا مدين متعمدين. والمسيح عليه السلام هو نفسه القائل إنه ما جاء ليلقى سلاما بل سيفاً، وإنه سيكون سبياً في انقسام البيت الواحد على نفسه، بما يدل أقوى دلالة وأجلاها على أن خطة التسامح لا يمكن أن تكون مطلقة مفتحة الأبواب على الدوام، وأن الاصطدام قادم مع استمرار العنت والاضطهاد والعدوان من جانب الخصوم، وإلا فالعفاء على كل شيء وكل أحد! ومن ناحية أخرى فقد سمعنا الرسول الكريم يدعو لقومه في عز اضطهادهم له ولأتباعه قائلاً: رب، اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون!

إن القرآن لا يأمر أتباعه بإدارة الخد الأيسر، لكنه يوصيهم مع ذلك بالْحُلم والصبر والرد على الجاهلين بكلمة " سلام " وبالغفو عند المقدرة، إلا أن لكل شيء نهاية كما قلنا. ولا بد أن يأتي يوم يفيض فيه الكيل ويتخذ الإنسان عندئذ من الإجراءات ما يُسكّت عنه المجرمين المتوحشين ليتنفس الصُّعداء، وإلا فنُلغ الشرطة والنيابة والقضاء والمحاكم والحكومات كما قلنا من قبل ساخرين! وهذه بعض من النصوص التي تحت المسلم على الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة، وإن كان القرآن لا يوجب عليه ذلك، وإنما يؤثر فقط الغفو والصفح في كثير من الظروف على رد العدوان بالعدوان: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَظَمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾} [الشورى: ٤٣]، {وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَإِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبِيحٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾} [النحل: ١٢٦ - ١٢٧]، {وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ {إفصلت: ٣٤ - ٣٥}، {فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبُرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾} {ق: ٣٩ - ٤٠}، {وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾}

[المزمل: ١٠]... وهلم جرا. ومع ذلك نجد في القرآن عقوبة لكل جريمة يرتكبها الشخص في حق الأفراد أو في حق المجتمع ككل، وبغير هذا فلا قيام ولا استمرار لأي كيان جماعى في دنيا البشر، اللهم إلا إذا أمكن مثلا إلغاء نظام المرور وترك سائقى السيارات والقطارات والدراجات والطائرات يفعلون ما يحلو لهم، وهو ما لا بد أن تكون نتيجته التوقف تماما عن الحركة في كثير من الحالات أو البطء الشديد فى الانتقال من مكان إلى مكان، فضلا عن الحوادث والمصائب المرورية التى لا تعد ولا تحصى. فهل هذا ممكن؟ وعليه فقس النظام الاجتماعى كله بمؤسساته وهيئاته وإداراته وقوانينه ومحاكمه وسجونته. تصور مجتمعا يحاول أى شخص فيه أن ينجز شيئا، وهو يعرف أنه لا ضمان لحصوله على ثمرة كده، ولا أمان له إن خرج إلى الشارع لأن السفلة ينتظرونه على باب الدار ليشتموه، والمجرمين يتربصون به ليضربوه ويسرقوه، والقتلة يمسكون بسكاكينهم أو مسدساتهم ليجهزوا على حياته وإلى القبر يشيعوه، والعهرة يتمترسون على الناصية حتى إذا خرجت واحدة من نساء بيته هتكوا عرضها وأهانوه وفضحوه ودمروه! هل يستطيع مثل ذلك الشخص أن يكون عنده نفس للعمل والإنتاج؟ قل له من هنا للصبح: " تسامح يا أخى الكريم! يا أخى الكريم من صفحك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن قتلك مرة فقم من موتك وتعرض له كى يقتلك مرة أخرى فيكون لك مكان بارز فى ملكوت السماوات"، لكنه لن يأخذ حرفا واحدا مما تقول على سبيل الجدّ، فأرح نفسك إذن، بل اسألها: أستطيع أنا فلان

الفلانى أن أفعل هذا؟ والجواب معروف سلفا، فلا تضيع وقتك إذن، بل تحلّ بالعقل، وكلّ وعشّ وقلّ: يا باسط، واحمد ربك أن هناك شرطة وسجونا ومحاكم وقوانين وحاجة اسمها " عيب " و " حرام " و " ممنوع " و " ضد القانون "، وإلا كانت حياتك كارثة بكل المقاييس!

والآن إلى بعض لمحات من أخلاق الإسلام: فمن الآيات القرآنية نقرأ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣١٧﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٣١٨﴾ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣١٩﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اِتِّغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَانْتَأَتْ أَكْطَاهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَاتِعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢٠﴾ أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٢١﴾ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عِنْدَ حَمِيدٍ ﴿٣٢٢﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢٣﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٢٤﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣٢٥﴾ إِن بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا

الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ {البقرة: ٢٦١ - ٢٧١}، {وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ بَذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرَضَن عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾} {الإسراء: ٢٣ - ٣٠}، {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَصْنَ مِنْ أَيْدِيهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُدْرِكْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ بِحُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُدْرِكْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِعُوقِتهنَّ أَوْ أَبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بِنَاتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذَّيْبِ ۗ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۗ مِن زِينَتِهِنَّ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾} {النور: ٣٠ - ٣١}، {يَتَأْتِيهَا الذَّيْبُ ۗ أَمْ نُوَلِّسْتَهُ لَكُمُ الذَّيْبَ الْمَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرُجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلَيْكُمْ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنٌ لَّكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ {النور: ٥٨ - ٦١}، {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَنَزُّرِي إِلَىٰ نَجْمٍ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ {القمان: ١٤ - ١٥}، {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ {القمان: ١٨ - ١٩}، {يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُمُ فَاسْتَقِيمُوا فَتَنبِئُونَا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ {الحجرات: ٦}، {يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تُلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَتَأَيَّاهُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ {الحجرات: ١١ - ١٣}.

أما أحاديث النبي عليه السلام في هذا الميدان فندسوق منها الأحاديث التالية: " كل ذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي وعقوق الوالدين أو قطيعة الرحم، يعجل لصاحبها في الدنيا قبل الموت "، " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه

مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. فقال له رجل: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسنا، ونعلي حسنة. قال: إن الله يحب الجمال، ولكن الكبر من بطن الحق وغمص الناس"، " عن عائشة قالت: كنت أطيّب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته"، " لا يَفْرَكُ (أى لا يبغض) مؤمن مؤمنة. إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر"، " إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه"، " من نفّس عن مؤمن كُرْبَةً من كُرْب الدنيا نفس الله عنه كُرْبَةً من كُرْب يوم القيامة، ومن يسر على مُعْسِرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"، " اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة"، " وعن أبي موسى الأشعري: " قال النبي صلى الله عليه وسلم: على كل مسلم صدقة. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فيأمر بالخير، أو قال: بالمعروف. قال: فإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة"، " كلّ معروف صدقة"، "

" تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردي البصر لك صدقة، وإمطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة"، " إخوانكم خولكم (أى خَدَمكم)، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده

فليُطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"، " لا يقولن أحدكم: عبدي، فلكم عبيد الله، ولكن ليقل: فتاي. ولا يقل العبد: ربي، ولكن ليقل: سيدي"، " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه"، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: " لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فادشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: إن خياركم أحاسنكم أخلاقا"، " إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا"، " إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العيب"، " ما شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبليغ درجة صاحب الصوم والصلاة"، " إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق"، " من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يدعون له، ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يفرغ، فإذا فرغ كتب الله له حجة وعمره. ومن عاد مريضا أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك لا يرفع قدما إلا كتب له به حسنة، ولا يضع قدما إلا حط عنه سيئة ورفع له بها درجة حتى يقعد في مقعده، فإذا قعد غمرته الرحمة فلا يزال كذلك حتى إذا أقبل حيث ينتهي إلى منزله"، " الحياء خير كله"، " لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين (أى شخصين متجاورين في مجلس أو اجتماع) إلا بإذنها"، " عن جابر بن سمرة: كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حديث ينتهي (أى حديث ينتهي به المجلس)"، " عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه،

ولم يُرَ مَقْدَمًا رَكْبَتِيهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ "، " عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَوَكِّنًا عَلَى عَصَا، فَقَمْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يَعْظُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا "، " يُشَدِّمَتُ الْعَاطِسُ ثَلَاثًا، فَمَا زَادَ فَهُوَ مَزْكُومٌ "، " قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاولَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مَيْسَرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعْسَرِينَ "، " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ. يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا، وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ "، " لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ "، " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ وَيَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ "، " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ (أَي نَمَامٌ) "، " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ "، " مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ "، " أَلَا مِنْ ظَلَمٍ مَعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ حَقَّهُ أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ لَهُ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ: أَلَا وَمَنْ قَتَلَ رَجُلًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا "، " دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هَرَّةٍ رِبَطَتِهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، وَ لَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ "، " (وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ) أَنْ رَجُلًا وَجَدَ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَلَ بِنْرًا فَمَلَأَ خَفَهُ مِنْهَا مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ حَتَّى رَوِيَ. قَالَ الرَّسُولُ: فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. فَقَالَ الْأَصْحَابُ: أَنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا

يا رسول الله؟ قال: في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ ".

كذلك ففي الوقت الذي نقرأ في الأناجيل ما يدل على أن المسيح لم

يكن يبالي بالنظافة، بل كان يؤثر العكس طبقا لما تخبرنا به تلك الأناجيل، نجد العكس من ذلك تماما في القرآن والسنة كما سوف نرى بعد قليل. لنأخذ مثلا النص التالي الموجود في الإصحاح الحادى عشر من إنجيل لوقا:

"³⁷ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِيسِيُّ أَنْ يَتَعَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ.³⁸ وَأَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوْلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ.³⁹ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمْ الْآنَ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ تُنْفُونَ خَارِجَ الْكَاسِ وَالْقُصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْنًا.⁴⁰ يَا أَغْبِيَاءَ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاحِلَ أَيْضًا؟⁴¹ بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صِدْقَةً، فَهُوَ ذَا كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ.⁴² وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّدَابَ وَكُلَّ بَقْلِ، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ.⁴³ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الْأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ.⁴⁴ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُونَ! «. فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ التَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هَذَا تَشْتُمُّنَا نَحْنُ أَيْضًا! «.⁴⁶ فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا التَّامُوسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تَحْمَلُونَ النَّاسَ أَحْمَالًا عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لَا تَمْسُونَ الْأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ.⁴⁷ وَيْلٌ لَكُمْ! لِأَنَّكُمْ تَبْذُرُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ.⁴⁸ إِذَا نَشْهَدُونَ وَتَرْضُونَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لِأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْذُرُونَ قُبُورَهُمْ.⁴⁹ لِذَلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ⁵⁰ لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقِ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ،⁵¹ مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أَهْلَكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هَذَا الْجِيلِ!⁵² وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا التَّامُوسِيُّونَ!

لَأَنْتُمْ أَحَبُّكُمْ مَقَرَّةً مَعْرِفَةً.
 مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالِدَاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ» . كما أنه لا ينادى أمه إلا
 بـ " يا امرأة " : ومن ذلك أنه كان في عرس في قانا الجليل وَنَفِدَتِ الْخَمْرُ
 فلفقت أمه نظره إلى ذلك، فكان جوابه عليها: " ما لي وما لك يا امرأة؟ " (إنجيل يوحنا/ 2 / 4). ولم تفارقه هذه الخشونة والفظاظة حتى حين كان
 على الصليب يستقبل الموت حسبما نقرأ في الإصحاح التاسع عشر من
 إنجيل يوحنا: " ²⁵ وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأَخْتُ أُمِّهِ
 مَرِيَمُ زَوْجَةُ كُلُوبَا، وَمَرِيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. ²⁶ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي
 كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا، قَالَ لِأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةَ، هُوَذَا ابْنُكَ». ²⁷ ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ:
 «هُوَذَا أُمَّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ ". ومن جهة
 أخرى نجد أن تعاليمه عليه الصلاة والسلام، حسبما تخبرنا الأناجيل،
 تخلو من أي توجيه يتعلق بالذوق والصحة.

أما تعاليم القرآن المجيد والسنة المشرفة فمملوءة بكل ما يحمي
 المجتمع من مظاهر القبح والتشويه والأذى والمرض، والتنبيه إلى أن كل
 شيء في الدنيا إنما يجري بحساب منضبط ويخضع لميزان دقيق، ومن
 ثم فلا إفراط ولا تفريط لمن يريد النجاة من متاعب الحياة والاستمتاع
 بصحة جيدة، وأن ثمة قواعد للذوق واللياقة ينبغي مراعاتها في التعامل
 اليومي حتى تمضي عجلة الحياة والعلاقات الاجتماعية سلسة دون توقف
 أو صرير، ويسود الحب والتفاهم والصفاء. ففي القرآن مثلا نقرأ قوله
 تعالى: " وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " (البقرة/ 145)، " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
 الْمَحْرِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحْرِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ
 يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ
 وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " (البقرة/ 222)، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ

وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ " (المائدة/ 90-91)، " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأعراف/ 31)، " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (النحل/ 68-69)، " فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (النحل/ 114-115)، " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ " (الرحمن/ 7-9)، " مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَبًا* وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا " (النساء/ 85-86)، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ " (النور/ 27-29)، " إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَعْرُورَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى

تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (الحجرات/ 3- 5)، " لا يَنْهَأَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَأَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (المتدنة/ 8- 9)، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " (المجادلة/ 11).

وفى الحديث النبوى: " إن الله جعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تداووا بحرام "، " لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل "، " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه. بحسب ابن آدم أكالات يُقَمَّنْ صُلْبُهُ، فإن كان لا محالة فثَلثْ لَطْعَامَهُ، وَثَلثْ لِشْرَابِهِ، وَثَلثْ لِنَفْسِهِ "، " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها "، " عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضا أو أتى به قال: أَذْهَبِ الْبَاسُ رَبَّ النَّاسِ. اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما "، " عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا حَسَنَةً وَسَيِّئَةً: فرأيت في محاسن أعمالها إمطة الأذى عن الطريق، ورأيت في سئ أعمالها النُّخَاعَةَ في المسجد لا تُدْفَنُ "، " الإيمان بضع وسبعون بابا: أَدْنَاهَا إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله "، " بينما رجل يمشي بطريقٍ وجد غصن شوك على الطريق فأخَرَهُ، فشكر الله له فغفر له "، " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه "، " اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤسكم، وإن لم تكونوا جُنُبًا، وأصيبوا من الطَّيِّب "، " لولا أن

أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِم بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ " ، " تَسَوَّكُوا ، فَإِنَّ السَّوَاكَ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ . مَا جَاءَنِي جَبْرِيلُ إِلَّا أَوْصَانِي بِالسَّوَاكِ " ،

" مَا لَكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلُودًا؟ اسْتَاكُوا ، فَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِم بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ طَهْوَرٍ " ، " الْفِطْرَةُ خَمْسٌ : الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ (أَي حَلْقُ الْعَانَةِ) وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَنَتْفِ الْأَبْاطِ " ، " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبْنَا فَمَضْمَضَ وَقَالَ : إِنْ لَهُ دَسْمَا " ، " مَنْ أَكَلَ ثَوْمًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ قَالَ : فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعِدْ فِي بَيْتِهِ " ، وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّفْلِ ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ . قَالَ : فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ : نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السُّفْلُ أَرْفَقُ . فَقَالَ : لَا أَعْلُو سَقِيفَةَ أَنْتَ تَحْتَهَا . فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُلُوِّ ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الدُّسْفَلِ . فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا ، فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ ، فَيَنْتَبِعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ . فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثَوْمٌ ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَمْ يَأْكُلْ . فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَحْرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ . قَالَ : فَإِنِّي أَكْرَهُهُ مَا تَكْرَهُهُ ، أَوْ مَا كَرِهْتَ . قَالَ : وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى (أَي يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي أَيِّ وَقْتٍ ، فَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ الثَّوْمَ) " ، " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ ثَائِرُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِيَدِهِ أَنْ " أَخْرُجْ " ، كَأَنَّهُ يَعْنِي إِصْلَاحَ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ . فَفَعَلَ الرَّجُلُ ثُمَّ

رجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟"، " قال (أبو رجاء العطاردي): خرج علينا عمران بن حصين، وعليه مُطْرُفٌ من خَزٍّ لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أنعم الله عز وجل عليه نعمة فإن الله عز وجل يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه"، " عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسم " عاصية"، وقال: أنت جميلة (أى هذا اسمك من الآن فصاعدا)، " وعن أبي سعيد الخدري: " إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يُؤذَن له فليُرْجِعْ"، " يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير"، " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه"، " لا يقيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا"، " إن تبسمك في وجه أخيك يُكْتَبَ لك به صدقة"، " قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يَرْحَمَ لا يُرْحَمَ"، " الجنة تحت أقدام الأمهات"، " إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك (أى فى فمها)، "، " ألا عسى أحدكم أن يضرب امرأته ضرب الأمة! ألا خيرُكم خيركم لأهله (أى لزوجته)، "، " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهنّ إلا لنويم"، " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه"، " إن الله يبغض كل جَعْظَرِيٍّ جَوَّازٍ صَحَّابٍ في الأسس

" رِفْقًا بالقوارير (أى الجنس اللطيف) ".

ونصل إلى المقارنة بين العقيدتين: والإسلام، كما هو معروف، دين التوحي النقى الذى لا يدانيه دين آخر فى هذا. أما النصرانية فهى ديانة التثليث، وهذا التثليث لا يدخل العقل: فأولا كيف يتجسد الله بحيث لا يشغل من الزمان والمكان إلا حيزا محدودا ضئيلا، وهو الذى خلق الزمان والمكان والكون كله، والمطلق الذى لا تحده حدود، والأرض جميعا فى قبضته، والسموات مطويات بيمينه المباركة؟ وكيف يحتويه الزمان والمكان، وهو الذى خلقهما؟ وثانيا كيف تنفرد النصرانية بهذا التثليث من بين الأديان السماوية كلها؟ ولدينا العهد القديم الذى يدكى تاريخ أنبياء بنى إسرائيل، فأين منه هذا التثليث؟ الجواب هو أنه لا وجود فيه لتثليث ولا تربيع ولا تخميس! فلماذا النصرانية بالذات دون سائر أديان السماء؟ بل إن الأنجيل ذاتها تخلو تماما من ألفاظ " الثالوث والتثليث والأقانيم الثلاثة "، وليس لهذا من معنى إلا أن تلك العقيدة لم تظهر فى النصرانية إلا بعد المسيح وكتابة الأنجيل. أى أنها لم تكن يوما من العقيدة التى جاء بها السيد المسيح عليه السلام وأنها إنما اخترعت بأخرة. وثالثا أن النصرانية لا تنفرد فقط بالتثليث شذوذا على أديان السماء، بل تتفق فى ذلك مع بعض ديانات الوثنية، إذ كان عند الفراعنة تثليث، وعند الإغريق تثليث، وعند الهنود تثليث. وهذا من الواضح بمكان بحيث لا تمكن الممارسة فيه بأى حال، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: " وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ " (التوبة/ 30). ورابعا أنه لا يصح أن يقال إن الله قد تجسد ليموت على الصليب ويُصَفَّ ويهان ويُضْرَب بالحربة فى جنبه ويسخر به كل من هب ودب ويجأر فى الفضاء العريض دون أن يجد من يجيبه ويحميه، وذلك

يؤمنوا بتجسد الله وموته على الصليب كى يتم الفداء. إذن فلماذا نزل وتجسد ومات إذا كان كل هذا لا أثر له؟ وثامناً لقد كان ينبغي أن يكرّم يهوذا مرشد الجند إلى المكان الذى كان يختفى فيه السيد المسيح مع تلامذته. أليس هو الأداة التى أعانت على تنفيذ الخطة الإلهية للتكفير عن خطايا البشرية؟ بيد أن النصرانية تقول عكس ذلك تماماً، فيهوذا فيها ملعون. عجيبة! وتاسعاً ليس يهوذا وحده هو الملعون، بل أيضاً الإله الذى كان تسليم يهوذا إياه للسلطات سببا فى أن يبوء هو باللعنة، فقد جاء فى سفر التثنية كما بينا من قبل أن من يُصَلَّب فهو ملعون. إذن فيهوذا ملعون، والإله الذى سلمه يهوذا للسلطات ملعون أيضاً. أى أن النصرانية تسوى بين القاتل والمقتول، الظالم والمظلوم. ومعنى هذا أن الأمر قد ازداد تعقيدا وتشابكا: فعیسی قد أتى لاقتكاك البشر من اللعنة التى استحقوها بسبب الخطيئة، لكن موته بدلا من هذا قد جلب اللعنة على يهوذا، وهو واحد من أولئك البشر الذين نزل الله من عليائه ليفك ريقة اللعنة من حول رقابهم. وفوق هذا فإن الله قد جلب اللعنة على نفسه. ثم إنه بعد هذا كله لم يحل مشكلة الخطيئة المزعومة، بل أضاف إليها خطيئة كفر اليهود وغير اليهود به واستحقاقهم من ثم اللعنة الأبدية. وهى أبدية لأن أحدا لن يأتى بعد ذلك ليعتق البشر من أوهاقها، فالمسيح لا يأتى إلا مرة واحدة، بالضبط كعود الكبريت، لا يشتعل إلا مرة واحدة وحسب! وعاشراً ما الحكمة يا ترى فى سكوت الله كل تلك الدهور المتطاوله التى يعدها علماء الطبيعة بملايين السنين قبل أن يفكر فى رحلته تلك الأراضية التى لم تأت بالنتيجة المرجوة، إذ ما زال مليارات الناس يكفرون بالتجسد، بل يكفرون حتى بعیسی مجرد نبي؟ ولنلاحظ أنه عندما مات المسيح على الصليب كما تقول الأناجيل لم يكن هناك أحد غير الحواريين

يؤمن به. وحتى الحواريون لم يكونوا يؤمنون به كلهم، بل كانوا ناقصين واحدا هو يهوذا، علاوة على أن إيمانهم بالمسيح لم يكن على المستوى المطلوب. وهذا ليس رأينا نحن، بل رأيه هو، إذ كان يتهمهم بقلة الإيمان وعدم الفهم، كما كان ينادى كبيرهم بـ "يا شيطان"؟ وتاسعا فإن صورة الجنة والنار في النصرانية غير واضحة ولا مقنعة، على عكسها في الإسلام كما يعرف ذلك كل من له أدنى معرفة بالديانتين. وحادى عَشَرَ فإن المبادئ الخلقية التي أتت بها النصرانية لا تناسب الطبيعة البشرية في شيء حسبما وضحنا، والدليل على ذلك أنه لا يوجد حتى ممن يتعصبون أشد التعصب لتلك الديانة من يطبق شيئا مما هو منسوب للسيد المسيح من دعوة مفرطة في المثالية الساذجة غير القابلة للتطبيق لَنَعَاكُسِهَا تمام التَّعَاكُسِ مع فطرة البشر. وثانى عَشَرَ كيف يكون المسيح ابن الله، وفي إنجيل يوحنا (5 / 1) أن الناس كانت تسميه: "ابن يوسف"، وهو نفس ما قاله متى (1 / 55) ولوقا (3 / 23، و 4 / 22)، وكان عيسى عليه السلام يسمع ذلك منهم فلا يذكره عليهم؟ بل إن لوقا نفسه قال عن مريم ويوسف بعظمة لسانه مرارا إنهما "أبواه" أو

"أبوه وأمه" (2 / 27، 33، 41، 42). كذلك قالت مريم لابنها عن يوسف هذا إنه أبوه (لوقا 2 / 48). كما أن الفقرات الست عشرة الأولى من أول فصل من أول إنجيل من الأنجيل المعتبرة عندهم، وهو إنجيل متى، تَسْرُدُ سلسلة نسب المسيح بادئة بآدم إلى أن تصل إلى يوسف النجار ("رجل مريم" كما سماه مؤلف هذا الإنجيل) ثم تتوقف عنده. فما معنى هذا للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة...؟ لقد توقعتُ، عندما قرأت الإنجيل لأول مرة في حياتي، أن تنتهى السلسلة بمريم على أساس أن

عيسى ليس له أب من البشر، إلا أن الإنجيل خيَّب ظنى تخيبا شديدا. وهو ما يؤكد النص التالى المأخوذ من مطلع إنجيل توما (أحد الأناجيل غير القانونية) " And a certain Jew when he saw what Jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father Joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath polluted the Sabbath day "، إذ يقول المؤلف إن أحد اليهود الغيارى على الشريعة الموسوية، حين رأى عيسى الصغير يصنع يومَ سبتٍ من الطين طيرًا، ذهب من فوره إلى " أبيه يوسف " وشكا له ما صنع ابنه من الاعتداء على حرمة اليوم المقدس. ومثله قول مؤلف ذلك الإنجيل فى موضع آخر إن عيسى ذهب ذات يوم لزراعة القمح مع " والده " فى حقلهم: " Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat ... " وغير ذلك من المواضع التى وُصِف فيها يوسف بأنه " أبوه ". بل إننا لنقرأ أن يوسف، تعجُّبًا من المعجزات التى كان يعملها عيسى الصغير، قد دعا ربه شاكرا أن أعطاه غلاما مثله: " Happy am I for that God hath given me this young child " .

والآن إلى المقارنة بين موقف كل من أصحاب النبيين الكريمين رضى الله عن الفريقين كليهما: فأما أصحاب السيد المسيح فلاسوف نورد تصرفاتهم منذ ظهر الخطر على حياته صلى الله عليه وسلم حتى تم صلبه بناء على معتقدات النصارى. وها هو ذا ما صنعوه حسبما كتب

الموت. أمكنوا ههنا وأسهرُوا معي». ³⁹ ثم تقدم قليلاً وخرَّ على وجهه، وكان يصلي قائلاً: «يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت». ⁴⁰ ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: «أهكذا ما قدرتم أن تسهرُوا معي ساعة واحدة؟» ⁴¹ اسهرُوا وصلُوا لئلاً تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيطٌ وأما الجسدُ فضعيفٌ». ⁴² فمضى أيضاً ثانيةً وصلى قائلاً: «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتُك». ⁴³ ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلةً. ⁴⁴ فتركهم ومضى أيضاً وصلى الثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه. ⁴⁵ ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: «ناموا الآن واستريحوا! هوذا الساعة قد اقتربت، وابنُ الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة». ⁴⁶ قوموا نطلق! هوذا الذي يسلمني قد اقترب! ».

⁴⁷ وفيما هو يتكلم، إذا يهوداً أحد الاثني عشرَ قد جاءَ ومعه جمعٌ كثيرٌ بسيوفٍ وعصيٍّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. ⁴⁸ والذي أسلمه أعطاهم علامةً قائلاً: «الذي أقبله هو هو. أمسكوه». ⁴⁹ فلوقت تقدم إلى يسوع وقال: «السلام يا سيدي! » وقبله. ⁵⁰ فقال له يسوع: «يا صاحب، لماذا جئت؟ » حينئذ تقدموا وألقوا الأيدي على يسوع وأمسكوه. ⁵¹ وإذا واحد من الذين مع يسوع مدَّ يده واستلَّ سيفه وضربَ عبدَ رئيس الكهنة، فقطعَ أذنه. ⁵² فقال له يسوع: «ردَّ سيفك إلى مكانه. لأن كلَّ الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون! ⁵³ أتظنُّ أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشرَ جيشاً من الملائكة؟ ⁵⁴ فكيف تكمل الكتب: أنه هكذا ينبغي أن يكون؟ ». ⁵⁵ في تلك الساعة قال يسوع للجموع: «كأنه على لِّصٍّ خرَّجتم بسيفٍ وعصيٍّ لتأخذوني! كلَّ يوم كنتُ أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تُمسكوني. ⁵⁶ وأما هذا كله فقد كان

لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ». حِينِيذِ تَرَكَهُ التَّلَامِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا.⁵⁷ وَالَّذِينَ
 أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيْفَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكُتَبَةُ
 وَالشُّيُوخُ.⁵⁸ وَأَمَّا بَطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى
 دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ.⁵⁹ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ
 وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ،⁶⁰ فَلَمَّ يَجِدُوا.
 وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودٌ زُورٌ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلَكِنْ أَحْيِرًا تَقَدَّمَ شَاهِدًا زُورٍ
⁶¹ وَقَالَ: «هَذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْفُضَ هَيْكَلَ اللَّهِ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُبْنِيهِ».
⁶² فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُحِبُّ بِشْيءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ
 عَلَيْكَ؟»⁶³ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ:
 «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟»⁶⁴ قَالَ لَهُ
 يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ
 جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ».⁶⁵ فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ
 حِينِيذِ ثِيَابِهِ قَائِلًا: «قَدْ جَدَفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ
 تَجْدِيفَهُ!»⁶⁶ مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ».
⁶⁷ حِينِيذِ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ⁶⁸ قَائِلِينَ: «تَنْبَأْ لَنَا
 أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟». ⁶⁹ وَأَمَّا بَطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ،
 فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةٌ: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ!».⁷⁰ فَانْكَرَ قُدَّامَ
 الْجَمِيعِ قَائِلًا: «لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ!»⁷¹ ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدَّهْلِيِزِ رَأَتْهُ
 أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهَذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!»⁷² فَانْكَرَ
 أَيْضًا بِقَسَمٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!»⁷³ وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْفِيَّامُ وَقَالُوا
 لِبَطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُعْتَكَ تُظْهِرُكَ!»⁷⁴ فَابْتَدَأَ حِينِيذِ يَلْعَنُ
 وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكَ.⁷⁵ فَتَذَكَّرَ بَطْرُسُ
 كَلَامَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ

مَرَاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا.

¹وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، ²فَأَوْتَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاطُسَ البُنطِيِّ الوَالِي. ³حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُودًا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلَاثِينَ مِنَ الفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ ⁴قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيذًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرُ!» ⁵فَطَرَحَ الفِضَّةَ فِي الهَيْكَلِ وَأَنْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَذَقَ نَفْسَهُ. ⁶فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ الفِضَّةَ وَقَالُوا: «لَا يَحِلُّ أَنْ نُنْفِيهَا فِي الخِزَانَةِ لِأَنَّهَا ثَمَنٌ دَمٍ». ⁷فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْعُرَبَاءِ. ⁸لِهَذَا سُمِّيَ ذَلِكَ الحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هَذَا اليَوْمِ. ⁹حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ القَائِلِ: «وَأَخَذُوا الثَّلَاثِينَ مِنَ الفِضَّةِ، ثَمَنَ المِثْمَنِ الَّذِي ثَمَنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ¹⁰وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ». ¹¹فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الوَالِي. فَسَأَلَهُ الوَالِي قَائِلًا: «أَنْتَ مَلِكُ اليَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». ¹²وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ يَسْتَنْكِرُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. ¹³فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمَا يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» ¹⁴فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الوَالِي جِدًّا. ¹⁵وَكَانَ الوَالِي مُعْتَادًا فِي العِيدِ أَنْ يُطْلَقَ لِلْجَمْعِ أُسِيرًا وَاحِدًا، مِّنْ أَرَادُوهُ. ¹⁶وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أُسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاسَ. ¹⁷فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى المَسِيحَ؟» ¹⁸لَأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. ¹⁹وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الوِلَايَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذَلِكَ البَارَّ، لِأَنِّي تَلَّمْتُ اليَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». ²⁰وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. ²¹فَأَجَابَ الوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟»

فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!»²² قَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصَلِّبْ!»²³ فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرِّ عَمَلٍ؟» فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخًا قَائِلِينَ: «لِيُصَلِّبْ!»²⁴ فَلَمَّا رَأَى بِيَلَاطُسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلَ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَعْبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلًا: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!»²⁵ فَاجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا». ²⁶ حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَدَّاهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصَلِّبَ.²⁷ فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكُتَيْبَةِ،²⁸ فَعَرَّوهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قَرْمِزِيًّا

²⁹ وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»³⁰ وَبَصَفُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ.³¹ وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضُوا بِهِ لِلصَّلْبِ.

³² وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا فَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِدْمَعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمَلَ صَلِيبَهُ.³³ وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُذَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمُجُمَةِ»³⁴ أَعْطَوْهُ خَلًّا مَمْرُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ.³⁵ وَلَمَّا صَلَّبُوهُ افْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتَمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «افْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِيَّاسِي أَلْفُوا فُرْعَةً».³⁶ ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ.³⁷ وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عَلْتَهُ مَكْتُوبَةً: «هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ».³⁸ حِينَئِذٍ صَلَّبَ مَعَهُ لِيَّاسَانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ.³⁹ وَكَانَ الْمُجْتَارُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهْرُؤُونَ رُؤُوسَهُمْ⁴⁰ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَنِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَانزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!»⁴¹ وَكَذَلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكُتَيْبَةِ

وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَفْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكٌ إِسْرَائِيلَ فَلْيُنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ!»⁴³ قَدْ اتَّكَلَّ عَلَى اللَّهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الْآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لِأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللَّهِ!». ⁴⁴ وَبِذَلِكَ أَيْضًا كَانَ اللَّسَانَ اللَّذَانَ صُلْبًا مَعَهُ يُعِيرَانِهِ. ⁴⁵ وَمِنْ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. ⁴⁶ وَنَدَوْ السَّاعَةَ التَّاسِعَةَ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِبْلِي، إِبْلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» «أَي: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» ⁴⁷ فَقَوْمٌ مِنْ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُبَادِي إِبْلِيًّا». ⁴⁸ وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفُنجَةً وَمَلَأَهَا خَلًّا وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَدَّاهُ. ⁴⁹ وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِبْلِيًّا يُخَلِّصُهُ!» ⁵⁰ فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ."

إن الإنسان ليستعجب أشد الاستعجاب ويتساءل: ترى أين الجموع الذين كانوا يحيطون بالمسيح ويتبعونه في كل مكان يذهب إليه، ويعدهم مؤلفو الأناجيل بالآلاف، وكان عليه السلام يطعمهم، ويشفى أصحاب الأمراض المستعصية منها، بل ويعيد بعضهم إلى الحياة مرة أخرى بعد أن ماتوا؟ بل أين حواريوه المقرَّبون؟ لقد تبخروا كلهم، وكانهم فصّ ملح وذاب؟ واليمين التي أقسمها بطرس بأنه لن يذكره ولن يتخلى عنه، ترى كيف نسيها وهان سيده عليه إلى هذا الحد؟ ولدينا أيضا ذلك التلميذ الآخر الذي أمسكه الجند من ملابسه فخلعها عن جسمه وتركها لهم وانطلق هاربا وهو عريان كيوم ولدته أمه. الحق أنها مدنة! وأي مدنة! أهذه ثمرة كل تلك التربية التي تَلَقَّوها على يديه صلى الله عليه وسلم؟ أهذه حصيلة كل تلك الصحبة التي صحبوا إياه؟ فأين ذهبت كل تلك الخطب والأمثال التي كان يَسُحُّ بها في آذانهم سحًّا؟ أتراهم لم يكونوا يهتمون بما يقول، بل بما كانوا ينتظرونه على يديه من شفاء فقط؟ ولا ننس فوق ذلك

أن عيسى، فى نظر النصارى، هو إله، وليس بشرا. أفهذه غاية جهد الإله؟ إن محمدا إذن، كما سوف نرى حالا، لأبرك أثرا وأقدر فى التربية والتوجيه، وهو البشر الذى لم يزعم هو ولا زعم له أحد من أتباعه أنه إله أو ينحدر من صلب الآلهة! أليس كذلك؟ ولا يقل أحد إن المسيح قد نهى تلاميذه عن الدفاع دونه وأمر بطرس أن يغمد سيفه مرة أخرى. ذلك أن رواية الأحداث على هذا النحو لا تقنع أحدا، إذ من أين أتى بطرس بالسيف؟ وكيف لم يتنبه المسيح إلى ذلك السيف قبل أن يشهره حواريه؟ بل لماذا كان بطرس يحمل سيفاً أصلاً، ولم تكن هناك معارك تسوّغ ذلك؟ ولماذا هو بالذات دون سائر زملائه؟ كما أن الحواريين لم يكونوا رجال حرب. ثم إن محاولات السيد المسيح الابتعاد مع تلاميذه عن أنظار أعدائه دليل على أنه لم يكن يريد الموت. ويعضد هذا صلاته قبل القبض عليه وابتهاله إلى الله أن يجيز عنه تلك الكأس المرة، وكذلك صرخاته على الصليب، وتحقيره قبل القبض عليه من شأن تلميذه الخائن الذى تدبأ بأنه سوف يسلمه إلى الأعداء طبقاً لما يرويه مؤلفو الأناجيل. فإذا أضفنا إلى هذا أن السيد المسيح عليه السلام قد أعلنها صريحة مدوية أنه إنما جاء بالسيف، كان من الصعب علينا جدا الاطمئنان إلى ما يُنسب له من أن ما أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ، وإلا كان كمن يكذب نفسه بنفسه.

هؤلاء إذن أصحاب المسيح عليه السلام، وأما أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فنورد لهم تصرفاتهم فى موقفين من أخطر المواقف التى مرت به صلى الله عليه وسلم، ولسوف نراهم وهم يضحون بحياتهم وراحتهم من أجله ويفدون به بكل غال لديهم، وكلهم حب له وحرص على ألا يخلص إليه سوء أوبئاله أذى، يستوى فى ذلك الرجال والنساء. إنها ملحمة، وأى ملحمة! ملحمة البطولة والإيمان والإخلاص والذبل والتطلع

لذيل الشهادة والفوز برضا الله. وها هما ذان الموقفان: فأما الأول فمن قلب المعمة أثناء معركة أحد بعد أن تحولت كفة الميزان لصالح المشركين وتطورت الأحداث بسرعة وأحرق المشركون بالنبي يريدون قتله. وإلى القارئ ما جاء في سيرة ابن هشام بشيء من التصرف: " وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدُتَّ بالحجارة حتى وقع لشدِّقه فأصيبت رباعيته وشدَّجَّ في وجهه وكُلِّمَتْ شفته ودخلت حلقتان من دلق المغفر وجذته، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما، ومَصَّ مالك بن سنان الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده. وعن عائشة عن أبي بكر الصديق أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنَّيته، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنَّيته الأخرى، فكان ساقط الثنَّيتين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَشَّيَه القوم: مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ؟ فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا، يُقْتَلُونَ دونه حتى كان آخرهم زياداً أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه. وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد. قالت: خرجتُ أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم، فقامت أباشر القتال وأذبت عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خَلَصَت الجراح إليّ. وكان على عاتقها جرح أجوف له عَوْرٌ، قالت: إن ابن قمئة، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل يقول: دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَاجِئَاتُ إِنْ نَجَا. فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان. وتَرَسَ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجاجة بنفسه يقع النَّبْلُ في ظهره، وهو منحني عليه حتى كثر فيه النَّبْلُ. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمى عن قوسه حتى اندقت سِيْنُهَا. وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجذته فردها (أى الرسول) بيده، فكانت أحسن عيذيه وأحدّهما. وانتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم استقبلَ القومَ فقاتل حتى قُتِلَ. وقد وجدوا به يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته، عرفته بيناته. أما عبد الرحمن بن عوف فأصيب فوه يومئذ فهَيِّمَ وجُرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فَعَرَجَ".

وأما الموقف الثاني فكان في غزوة الحديدية حين لجّ الخلاف بين قريش والمسلمين وأضحى الأمر على شفير الانفجار في أية لحظة، وبدأت المفاوضات الشاقة. جاء في صحيح البخارى: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديدية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال

الذبي صلى الله عليه وسلم: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحته، فقال الناس: حل حل. فألحت، فقالوا: خلأت القصواء! خلأت القصواء! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطّة يعظّمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ قليل الماء يتبرّضه الناس تبرّضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه. وشكّي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانترع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه. فوالله ما زال يجيش لهم بالرّي حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عبيدة نصّح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جدنا معتمرين. وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم. فإن شأؤوا ماددّتهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس. فإن أظهر، فإن شأؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمّوا. وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره. فقال بُدَيْل: سأبلغهم ما تقول. قال: فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جنناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي

منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، أستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال أو لست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تنتهمونني؟ قالوا: لا. قال: أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خُطّة رُشد، اقبلوها ودعوني آتية. قالوا ائته. فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لُبْدَيْلٍ. فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لأرى وجوهاً، وإنني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويَدَعُوكَ. فقال له أبو بكر: امصص ببيطر اللات! أنحن نفرّ عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أحرّ يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألسنت أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلاست منه في شيء. ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، قال: فوالله ما تنحّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابتدروا أمره. وإذا توضأ

كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيتُ ملكاً قطُّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم محمداً. والله إن تنخّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابْتَدَرُوا أمره. وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيماً له. وإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتية. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان، وهو من قوم يعظّمون البُذُن (أى الأضاحي)، فابعثوها له. فبعثتُ له، واستقبله الناس يُلبّون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُذُن قد قُلدتْ وأشعرتْ، فما أرى أن يُصدّوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتية. فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز، وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سهل لكم من أمركم. قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: "باسمك اللهم" كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا "بسم

الله الرحمن الرحيم " فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب: " باسمك اللهم " ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله إنني لرسول الله، وإن كذبتُموني. اكتب: محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألونني خُطَّةً يعظّمون بها حرّامات الله إلا أعطيتهم إياها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنظوف به. فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن تردّه إليّ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد. قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى، فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أيّ معشر المسلمين، أُرِدّ إلى المشركين وقد جئتُ مُسْلِماً؟ ألا تَرَوْنَ ما قد لقيت؟ وكان قد عُدّب عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلمْ نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: إنني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنظوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكَ أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال:

فإنك آتية ومُطَوَّفٌ به. قال: فأُتيتُ أبا بكرٍ فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلمَ نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسكُ بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوَّفٌ به. قال الزهري: قال عمر: فعلت لذلك أعمالا. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُذَنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُذَنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رَأوا ذلك قاموا فَنَحَرُوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل غما. ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات فلا تُرْجِعوهن إلى الكفار، لا هنَّ حلٌّ لهم ولا همَّ يحلّون لهن، وآتوهن ما أنفقوا. ولا جناح عليكم أن تنكِحوهن إذا آتيتهن أجورهن، ولا تُمسِكوا بَعْصَمَ الكَافِرِ ". فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشُّرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير، رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد

الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا. فاستلّه الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى بَرَدَ (أى مات)، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هذا ذعرا. فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُتِلَ والله صاحبي، وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك. قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويل أمه مسعر حرب، لو كان له أحد. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيفَ البحر. قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة. فوالله ما يسمعون بغير خربت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل: فمن أتاه فهو آمن. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فأنزل الله تعالى: " وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا* هم الذين كفروا وصدّوكم عن المسجد الحرام، والهدى معكوفاً أن يبلغ محلّه. ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطوؤهم فتصيبكم منهم مَعْرَةٌ بغير علم لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً* إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ". وكانت حميتهم أنهم لم يُقروا أنه نبي الله، ولم يُقروا بـ " بسم الله الرحمن الرحيم "، وحالوا بينهم وبين البيت ".

* * *

الخاتمة

* أصغى المساجين في غرفة السجن بصمت إلى كلمات خادم الرب، ونظر البعض إليه بغضب، وأبرقت من أعينهم البغضة والحقد، بينما كان الآخرون منذهلين ومندهشين. وأما الأقلية ففرحت بجوابه واستخلصت من كلامه رجاء وتعزية. وقال خطيب الجماعة لخادم الرب: قد رأينا أنك مستقيم، وقلت لنا جهراً أفكار قلبك ولم تخذعنا. سوف نفكّر بكلامك ونقارن أقوالك بالقرآن والحديث، ونجيبك جواباً قاطعاً. لا نوافق على كلامك، بل نطلب منك استمرارية المباحثة حتى تستمع إلى ما نقوله نحن أيضاً. لن نلمسك ولا نضرك رغم أن بعضاً منا مغتاظين جداً من كلامك لأذنا وعدناك بالأمن وطلبنا منك أن تتكلم بما تريده. سوف نفتح الباب أمامك طالبين اليك العودة. قليلون من يقولوا الحق في الاستقامة والاحترام. جاوبهم رجل الله: كلّ مَنْ مِنَ الحق يسمع صوت الحق، والحق يحرره تحريراً. فإن أردتم أن تعرفوا الحق الكامل عن المسيح ومحمد فأتكلم لكم من الإنجيل بصراحة أكثر. فكل من لا يملك منكم الإنجيل الشريف ويريد أن يقرأ فيه، فأقدم له نسخة هدية لكي يتأمل في الحق الكامل. وبعد هذا الكلام قام من وسطهم، ولم يمنع أحد بل فتحوا الباب وسمحوا له بالخروج. أما الأبحاث فتهيجت في هذه الزنزانة واستمرت إلى الليل. وأما خادم الرب فشكر ربّه الحي لأنه أوكله أن يُبرز الحق حسب معرفته من القرآن والحديث ومن غنى التوراة والإنجيل.

** أما تعليقي على هذا الكلام فهو أن الواعظ الطيب الذي على نيّاته إنما كان يحلم! أو... أو ماذا؟ أو أنه مسلم، لكنه لا يريد أن يكشف عن إسلامه مرة واحدة، فهو يلجأ إلى هذا الأسلوب التدريجي، فيصف محمداً عليه السلام بأنه نبي عظيم، مع التظاهر أنه يفضل عليه عيسى رغبة في

تضليل القارئ النصراني عن حقيقة معتقده. هي فكرة طرأت لى، وقد تكون صحيحة، أو هي على الأقل فكرة وجيهة تحتاج فى التثبت منها إلى التربص والانتظار. فلنكن، أيها القراء، إذن من المتربصين حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً!

* * *